

تمثل هذه الصورة مدار الغزلية العذرية عند جميل إذ رسم لنا في جل قصائده جملة الحال. /أمّرة رفيعة المقام سيدة بين أهلها. ساعية إلى تأجيج نار عشقه. - < عندما نقارن بين الصورتين : الصورة الخلقية والصورة الخُلُقية نلاحظ أنّ المرأة عند جميل جمعت بين بعدين : بُعد واقعيٍ وبعد خياليٍ أسطوري؛ وهذا التداخل يرثقي بها إلى مستوى الرّمز، ويؤسّس بينها وبين عاشقها علاقة غير مألوفة. اعترني جميل ببيان آثار الحب على العاشق وما يُفضي إليه سهاده وهيامه من ألم ومعاناة ينعكسان جسدياً على ملامحه فيبدو نحيلًا ذابلاً أنهكه الحب وأفناء العشق. من المعاني الثابتة في الغزلية العذرية معنى الوفاء. فإذا كانت المعشوقة تعد ولا تفي فإن العاشق يخلص لها الود ويزداد بها تعلاقاً، بل يصبح هذا الألم أحياناً مصدراً للمتعة يستعيض به عن الحرمان من الحبيب. يعيش العاشق ماسة تجعل وجوده رهين وجود محبوبته وبدونها تفقد حياته معناها وجوده مبرره. (ج) العلاقة بين العاشق والمعشوقة بل يمثل فيها الاتصال منشوداً يقابلها موجود هو حالة البعد والانفصال الناجميين عن عاملين أساسيين أحدهما يتصل بالمحبوبة التي تمعن في التلاعيب بمشاعر الحبيب. وثانيهما موضوعي له صلة بالمجتمع وبقيميه وما يضربه من حصار على هذا الحب الناشئ خارج مؤسسة الزواج، رغم ما يعانيه العاشق من صدّ وما يتولد عنه من ألم فإنه يظل وفيها لمحبوبته، بل إن وفاه لها يتذبذب طابعاً أسطورياً عندما يتجاوز حدود الزمان ليتحول إلى حب أزلي يجمع العاشقين قبل الولادة وبعد الموت :  
يَهْوَكَ مَا عَشْتَ فَلَوْادَ فَإِنْ أَمْتَ \* يَتَبَعُ صَدَائِيْ صَدَاكَ بَيْنَ الْأَقْبَرِ مَحْوُرُ شِعْرِ الْغَزْلِ أَوْلَى ثَانِيَّ حُبِّ جَمِيلِ لَبِثِينَةِ حُبِّ  
مَقْدَرٍ مِّنْ قَبْلِ قُوَى غَيْرِ مَنْظُورَةٍ، وَهُوَ عِنْدَمَا يَسْأَلُ عَنْ سُرِّ وَفَائِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ يَقُولُ : فَقَلْتُ لَهُ فِيمَا قَضَى اللَّهُ مَا تَرَى \* عَلَى  
وَهُلْ فِيَا قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدِّ حَيَاةِ الْعَاشِقِ فِي هَذَا الْحَبِّ سَلْسَلَةِ عَذَابَاتٍ لَا تَنْهَى، بَلْ إِنَّهُ يَقْفَ عَلَى عَتَبَةِ الْمَأْسَةِ وَعَلَى شَفَافِ  
الْجَنَّوْنِ، وَانْفَسَالِهِ عَمَّنْ يَحْبُبُ يَفْقَدُهُ الْإِحْسَاسُ بِجَدْوِيِّ الْحَيَاةِ، أَظْلَلَ نَهَارِيَّ مَسْتَهَاماً وَيَنْقِي \* مَعَ الْلَّيلِ رُوحِيِّ فِي الْمَنَامِ  
وَرُوحَهَا وَأَزْمَتَهُ لَا تَحْلِ لِإِلَّا بِالْإِتَّهَادِ بِمَنْ يَحْبُبُ : فَلَا أَنْعَمْتَ بَعْدِيَّ وَلَا عَشْتَ بَعْدَهَا \* وَدَاسَتْ لَنَا الدُّنْيَا إِلَى الْحَشْرِ خَيَالَكَ فِي  
عَيْنِي وَذَكَرَكَ فِي فَمِي \* فَمَثَواكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغْيِيبٌ وَكُنْتَ عَلَى أَيْدِيِ الرِّجَالِ حَيْثُ تَلْخِيصُ مَحْوُرِ شِعْرِ الْغَزْلِ فِي الْقَرْنِ  
الْأَوَّلِ لِلْهَجَرَةِ إِنَّ الْعَلَاقَةَ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ جَمِيلِ وَبِثِينَةِ قَدْ تَجاَوَزَتْ حَدُودَ الْعُقْلِ وَالْمَنْطَقِ، وَيُعْتَبَرُ حَبَّهُ لَهَا وَمَجَازِفَهُ فِي سَبِيلِ  
الْوُصُولِ إِلَيْهَا غَزْوَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ : يَقُولُونَ جَاهَدُوا جَاهِدَ يَا جَمِيلَ بِغَزْوَةٍ ٠٠ وَأَيْ جَهَادٌ غَيْرُهُنَّ أَرِيدُ الْبَعْدِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي الْغَزْلِيَّةِ  
الْعَذْرِيَّةِ رَكَّزَتِ الْغَزْلِيَّةِ عَنْدَ جَمِيلٍ عَلَى تَصْوِيرِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمُحَبِّينَ وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ كَشْفِهَا عَنْ بَعْضِ مَلَامِحِ الْمَجَمِعِ الْعَرَبِيِّ  
فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، جَمَعَتِ غَزْلِيَّةُ جَمِيلٍ بَيْنَ الْبَعْدِ الذَّاتِيِّ وَالْبَعْدِ الْمَوْضُوعِيِّ، بَيْنَ الْمَعَاجِمِ، فَعَلَا مَقْدَسَاً. اِنْفَاتُ الْمَجَمِعِ الْعَرَبِيِّ عَلَى  
ثَقَافَاتِ الشَّعُوبِ الْمَهْزُومَةِ (الرُّومُ/الْفَرَسُ...) أَدَى إِلَى تَأْثِيرِهِمْ بِمَا اِنْتَمَاءُهُمْ إِلَى الْمَجَمِعِ الْحَضْرِيِّ – اِنْتَمَاءُ جَمِيلٍ إِلَى الْمَجَمِعِ  
الْبَدُوِيِّ. مَا عَرَفَتْهُ هَذِهِ الْحَضَارَاتُ مِنْ بَذْخٍ وَرِفَاهٍ سَنْجَدَ لَهُ صَدِّيَّ فِي شِعْرِ عَمْرٍ. – (عَائِدَاتُ الْفَتوَحَاتِ) أَدَى إِلَى تَغْيِيرِ الْعُقْلِيَّاتِ، –  
تَأْثِيرُ غَزْلِيَّةِ عَمْرٍ بِجَمِيلٍ هَذِهِ التَّحْوِلَاتِ سَنْجَدَ لَهُ صَدِّيَّ فِي مَسْتَوِيِّ الْمُضَامِينِ الشَّعُورِيِّةِ (صَوْرَةُ الْعَاشِقِ صَوْرَةُ الْمَعْشُوقَةِ) / الْعَلَاقَةُ  
بَيْنَ الْطَّرَفِيْنِ...)، فَإِذَا عَالَمَهُ الشَّعُورِيُّ عَالَمُ مَعْانِيَّةٍ وَأَلَمٍ وَمَا السَّعَادَةُ فِيهِ إِلَّا لَحْظَةٌ هَارِبَةٌ يَخْتَلِسُهَا مِنَ الْدَّهْرِ وَمِنَ الْوَشَاءِ وَالْعَدَالِ.  
وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَهُمَا قَدْ شَهَدَتْ انْقِلَاباً أَوْ تِبَادِلَ لِلْأَدْوَارِ، وَإِذَا مَفَارِخُ الْأَنْتَانِ مَدارُ الْقَصِيدَةِ وَإِنْ وَجَدْنَاهَا تَرَدُّ عَلَى لِسَانِ الْمَرْأَةِ  
ذَاتِهَا : قَالَتِ الْكَبْرِيَّ أَتَعْرَفُنَّ الْفَتَيَّ \*\* قَالَتِ الْوَسْطَيِّ نَعَمْ هَذَا عَمْرٌ قَالَتِ الصَّفَّيِّ وَقَدْ تَيَمَّتْهَا \* قَدْ عَرَفْنَا وَهُلْ يَخْفِي  
الْقَمَر؟ وَمِنْ صَفَاتِ الْعَاشِقِ وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ الْمَعْشُوقُ هُنَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُ عَلَى حَالٍ وَيَنْتَقِلُ مِنْ اِمْرَأَةٍ إِلَى أُخْرَى كَانَهُ مَسْكُونٌ بِهِاجْسٍ لَا  
يَعْرَفُهُ إِلَّا هُوَ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَصُورُهَا عَمْرٌ تَبَدُّو اِمْرَأَةً حَضْرِيَّةً مَرْفِيَّةً تَخْتَلِطُ بِالرِّجَالِ وَتَتَحدَّثُ إِلَيْهِمْ وَتَمَارِسُ نَوْعَاً مِّن  
الْحَرِيَّةِ لَمْ تَأْلِفَهَا لَا عِنْدَ جَمِيلٍ وَلَا عِنْدَ شَعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. جَمَلَهُ هَذِهِ الْمُؤَثِّراتِ سَنْجَدَ لَهُ صَدِّيَّ فِي بَنْيَةِ قَصِيدَتِهِ وَأَسَالِيبِ الْقَوْلِ فِيهَا.  
– اِعْتِمَادُ الْبَحُورِ الْخَفِيفِ فِي النَّظَمِ مُثْلِ الْخَفِيفِ وَالرَّمْلِ مَا يَجْعَلُ شَعْرَهُ يَتَسَمُّ بِغَنَائِيَّةٍ تَعْكِسُ حَيَاةَ التَّرْفِ وَالْبَنْخِ الَّتِي يَعِيشُهَا. يَكُونُ  
بَطْلَهَا الشَّاعِرُ وَنَهَايَتِهَا الظَّفَرُ أَوْ تَحْقِيقُ الْبَغْيَةِ وَسَدُّ النَّقْصِ. أَ) مَظَاهِرُ التَّقَلِيدِ – فِي مَسْتَوِيِّ الشَّكْلِ شَكْوِيِّ الْمَحَبِّ مِنَ الْوَشَاءِ  
وَالْعَدَالِ كَذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمَتَوَارِثَةِ فِي الْغَزْلِ وَهِيَ وَثِيقَةُ الْعَلَاقَةِ بِالْقِيمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ. – فِي مَسْتَوِيِّ الشَّكْلِ إِزَاءِ عَاشِقٍ مَتَذَلِّلٍ  
مَتَصَاغِرٍ بَلْ أَصْبَحَنَا إِزَاءِ مَعْشُوقَ بَطْلٍ وَلَا يَدْرِكُ وَيَمْتَلِّ قَبْلَةَ النِّسَاءِ. تَحُولُ الْتَّجْرِيَّةِ الْغَرَامِيَّةِ إِلَى مَغَامِرَةٍ يَصُوَّغُهَا الشَّاعِرُ صِيَاغَةً  
فَنِيَّةً تَتَوَفَّرُ فِيهَا جَلْ مَقْوِمَاتِ الْقَصْنِ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَحْدَاثٍ وَشَخْصِيَّاتٍ، بَعْدَ أَنْ وَاجَهَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَخَاطِرِ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ غَيَابَهَا  
هُوَ بِمَثَابَةِ نَقْصٍ سَيِّسَعِي إِلَى سَدِّهِ : وَيَتَحَوَّلُ ذَلِكَ الْحَدَثُ إِلَى حَدَثٍ قَادِحٍ يَدْفَعُ إِلَى الْمَغَامِرَةِ الْغَرَامِيَّةِ،